المحدَّدة لفكرة المعارضة ، وبعيدا عما يشبه أحاديث المعارضات من دراسات ترقى أحيانا إلى كشف معالم التأثير والتأثر ، أو كشف صيغ التفاعل بين عصور أدبية محددة ، كما فعل الدكتور عزيز فهمى ، فى دراسته حول الموازنة بين الشعر فى العصرَيْن الأموى والعباسى[١] فكانت أقرب إلى دراسة المؤثر التاريخى فى النص ، وكيف ترد الأشباه جامعة بين الأموية والعباسية ، ولاعلاقة لها بالدراسات المقارنة أو الموازانات النقدية ، أو نحو ما فعله الأستاذ عباس حسن فى موازنته بين المتنبى وشوقى فى إطار رؤية محددة سيطر عليه فيها الحس اللغوى قاصدا إلى تسجيل الزعامة الأدبية لشوقى من منطلق البحث فى مواد تراثه ، ومحاولة كشف أسلوبه فى استيعابه ، لا فى إطار المعارضات الشعرية التى تستوقفنا فى القصيدة كاملة ، بل تظل الدراسة أقرب ما تكون إلى التناول الجزئى للأبيات المتشابهة أو الصور المنقولة المكررة ، فى إطار جامع لموضوعات الشعر التقليدية [٢] .

ثم تأتى دراسة خاصة بتاريخ المعارضات في الشعر[٣] لم تبعد كثيراً فى منهجها عن أسلوب الجمع لكم هائل من الصور الجزئية المتشابهة بين الشعراء على مدار العصور الأدبية المختلفة دون الالتزام بتتبع خط منهجى واضح يحدد للمعارضة معناها الاصطلاحى الذى يضبط ما يدخل فى إطارها من قصائد ، إذ تظل هذه الحدود المتوقعة بمثابة حارس يحمى الفكرة ذاتها ، ويؤدى إلى حصر المواد المتشابهة بين الشعراء على مستوى من الفن تعرضه الصورة الكلية للنص من ناحية ، وتشارك فيه لوحاته الجزئية المتداخلة من ناحية أخري . وهو ما يزداد تأكيدا من خلال مراعاة الوقوف عند النماذج التطبيقية التى تخدم الظاهرة وتدعمها بالدليل النصى ، ومنها - أى هذه النصوص - ما قد يمتد ليشمل أكثر من مرحلة تاريخية ليصبح موضوعا لمعارضات كثيرة لا معارضة واحدة ، على نحو ما تمتعت به لامية كعب بن زهير والتى عرفت «بالبردة» من معارضات تلتها منذ عصر بنى أمية ، واستمرت معارضتها بعد ذلك لدى «البوصيرى» أو «شوقى» أو غيرهما على امتداد تاريخ الحركة الأدبية ، ويكفى أن نتوقف سريعا عند بعض منها - على سبيل المثال - لمجرد الإشارة لا الدراسة ، وذلك لكثرتها المتميزة ومنها :

---

(١) وقد أعطاها عنوان «المقارنة بين الشعر الأموي والعباسى فى العصر الأول » .

(٢) الموازنة بين المتنبى وشوقى .

(٣) تاريخ المعارضات فى الشعر العربى (محمد قاسم) .